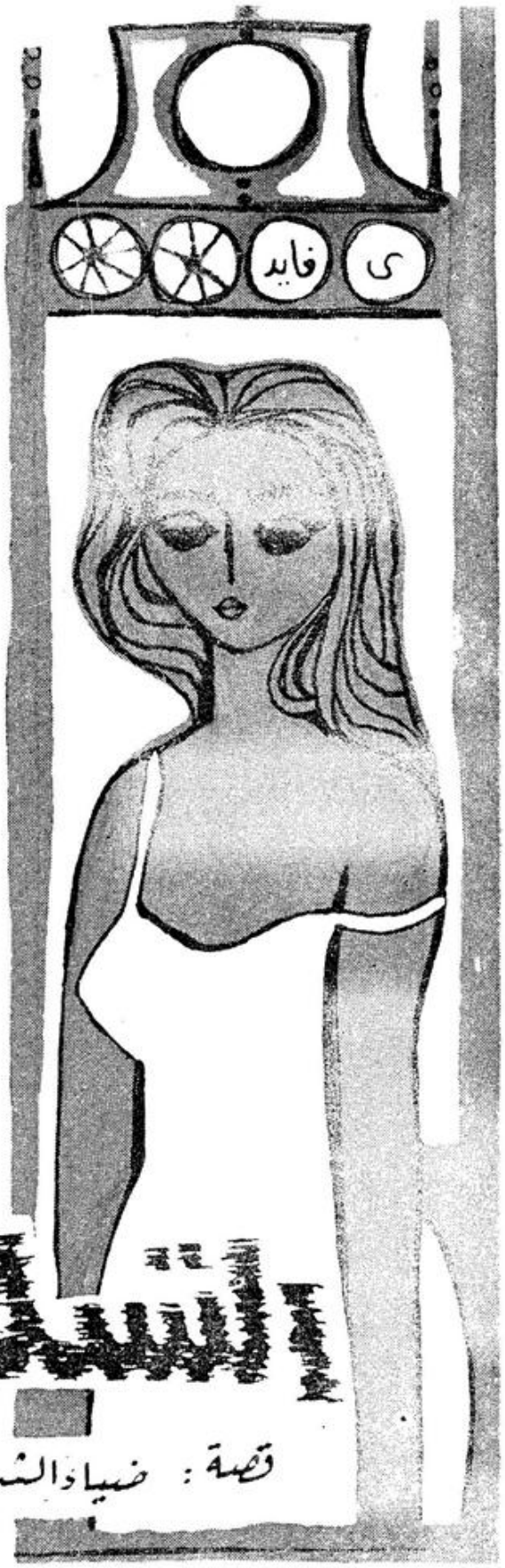

السيناريو

قصة : ضياء الشرقاوى

لست انسانا معقدا كما يحسبنى الناس ... أبدا ... المسألة أبسط مما يتصورونها ليس هذا الفزع الذى يفزعهم ... وليست تلك الرغبات التى تمتص واعيتى .. تمتص وجودى المعنوى .. ليست نتيجة لطبيعة شائكة غامضة .. والسبب كما قلت بسيط هو اننى اكتشفت فى وقت مبكر من حياتى ... مبكر جدا .. ان لاشىء فى الدنيا يستحق أن يثيرنى .. وكل شىء تافه لدرجة تبعث الاكتئاب ... لذلك صرفت الانتباه عن كل شىء .. لذلك أرقب الاشياء بلا مبالاه .. بعينين فارغتين ... كأنهما بحيرتان فارغتان .. لو كانتا مليئتين بالملاله ... بالضجر .. بالسآمة ... لكان هناك اهتمام ... وفى أواخر أيام ابى .. نظر الى نظرة طويلة حادة ... واغمض عينيه لحظة بامتعاض فصرفت النظر عنه ارقب أشياء تسبح فى السماء ، لم احب أن اعرف ما هى ... وقال

ـ استمع يا بنى ... ستقتل نفسك فى أقرب وقت ...

وصمت كأنه ينتظر ردا منى ... قلت : ـ

ـ حسنا

وارتسمت خطوط كثيرة على جبهته.. وامعن النظر فى بدهشة .. ثم قال

ـ أنت انسان مفزع

وصمت مرة أخرى ينتظر ردا على ما أعتقد .. ولم اهتم بالاجابة .. وواصل هو قائلا

ـ لذلك ... ستقتل نفسك ... يجب أن ..

ورأيت اناسا يجرون ويصرخون .. وصرخ أبى .. واغمض عينه ثم قال

ـ سأذهب لارى .. انك تقتل نفسك .. امتلىء بعقيدة ثم بصق بشكل مزر وقال وهو ينصرف

ـ انسان بلا عقيدة ... بلا **عقيدة**.. ستقتل نفسك .

لا أدرى كيف امتلأ رأسى بأزيز منتظم .. ازيز عجلات القطار ... ثم شعرت بيد تهزنى برفق ونظرت اليها.. وبادرتنى قائلة

ـ هل انت مريض ياسيدى ؟

وكان هناك بائع كازوزة يصرخ .. وطفل يدق الارض بقدميه ..وسمعتها تقول :

ـ خذ جريدتك لقد وقعت منك ولم تحس

كانت جارتى .. ورأيتها تضحك.. كانت صغيرة .. مثل لؤلؤة ليست بالغة الكمال .. والتوهج كلما رأيت تمثالا له انف رومانية اضغط عليه بيدى لكى اكسره ... ووجهها مستدير ... مثل وجه امى .. لذلك حملقت فيها .. وشعرت بالتقزز فجأة منها .. لقد لمحت زغبا اصفر خفيفا فوق شفتها العليا .. خفيفا جدا..وشددت اصبعى القوى كحربة لكى ادفعه فى جنبها بغيظ ...

ومرة أخرى هزتنى قائلة :

ـ كلم

ونظرت الى الرجل الذى تشير نحوه وقال لى .

ـ تذاكر

فضحكت واعطيته التذكرة فثقبها كلعبة سقيمة يزاولها هذا المخلوق .. لعبة سقيمة .. يثقب التذاكر ... هذا عمله ... وضحكت .. ضحكت منه ... منظره بائس لا يدعو للاهتمام ليس عملاقا .. وليس قزما .. وجهه عادى .. ليس له انف مثير للحنق كحبة البطاطس واسنانه عليها سحب صفراء.. لو كان مثل الشاعر الدانمركى هانز كريسيان آندرسن لاثار ضحك الفتاة الصغيرة التى بجانبى .. طويلا نحيفا له اطراف بالغة الطول .. ولكنه ليس كذلك .. **وعادت هى الى الثرثرة**

ـ خذ تذكرتك

ـ ان الحرب فى كوريا دخلت عامها الثانى .. ان الامور تسير بطريقة مضحكة .. اليس كذلك . ؟ ... كم قتيلا صرعوا هناك حتى الآن ؟ .. مليون .. مليون تقريبا .. لن يقلوا عن ذلك .. الا يفعل العالم شيئا لايقاف تلك المجزرة .. وحشية .. هل انت موافق على استمرار تلك المجزرة اطول من ذلك ؟ .

وصمتت هذه المرة فى عناد منتظرة اجابة .. وهززت رأسى .. فصرخت

ـ يا الهى ٠٠ هل انت موافق على تلك المجزرة ؟

لقد هـــزت رأسى فقط ٠٠ شيء غريب أيتها الغراب ٠٠ لو كنت عجوزا شمطاء تثيرين الضـــحك لكـان ذلك افضل ٠٠

قالت :

ـ استمع الى ٠٠ الا تدرى انه من الممكن أن تؤدى هذه الحرب الى حـــرب عالمية ثالثة ؟ ٠٠ اليس من الجائز ذلك ؟

وصاحت بحنق :

ـ أجب ٠٠٠

اجبت

ـ ربما

ـ اذن لماذا يقف العالم هكذا صامتا ؟

وقاطعتها

ـ صه ٠٠٠ هذا حديث غير لائق ٠

قالت باحتجاج

ـ غير لائق ؟

ـ تحدثى عن آخر مودات الفساتين ٠٠ هذا انسب لك

ـ وهل تعرف انت فى الفساتين حتى احدثك عن آخر موداتها ؟

وصاحت بعد مدة

ـ اجب

ـ هذا أفضل

ـ هل تعرف فى الفساتين ؟

ـ هذا من الانسب

قالت باهتياج

ـ ما عملك ؟ ٠٠ ترزى سيدات ٠٠٠

ـ لا ٠ ولا افهم فى الفساتين

ـ اذن كيف ستفهم ؟

« لاضرورة لان افهم ما تقولين ٠٠ كل همى أن الحظ اسنانك الصغيرة البيضاء ايتها الغبية ٠ »

سألتنى

ـ أين ستنزل ؟

ـ هل أنت تلميذة ٠

ـ طالبة بكلية الآداب جامعة القاهرة ٠ ومسافرة الى بلدتى لكى أرى أهلى ٠٠ لم ارهم منذ شهرين تقريبا ٠٠ الدنيـا فى خطر ٠٠ والامتحانات اقتربت ٠٠ نسيت أن أقول لك انى فى السنة الثالثة ـ قسم فرنساوى ـ اللغة الفرنسية ٠٠ لغة حية ٠٠٠ ما عملك يا سيدى ؟

ـ لقد احترقت طائرة ومات كل من بها ماعدا الطيار ٠

واهتزت كأن نجاة الطيار معجـــزة غريبة لا تحدث مطلقا ٠٠

وصاحت

ـ الطيار فقط ٠٠

ـ فقط ٠٠

ـ لماذا ؟ ٠٠ ماذا فعل ؟ ٠٠

ـ لا ادرى ٠٠ لقد قـــرأت ذلك فى الجريدة ٠٠ العنوان فقط

ـ فى جريدة اليوم ؟

ـ اريد أن أنام ٠٠

ـ أين ستنزل لكى اوقظك ؟

ـ فى بور سعيد ٠٠

ـ معى ٠٠ حسنا

واسندت رأسى الى حائط العربة ٠٠ وتركت عينى مفتوحتين ٠٠ وعاد الازيز **للتسرب الى رأسى ٠٠ كخيط متصل ٠٠ ونقلنى بعيدا ٠٠ وهـزتنى الحمقـــاء الصغيرة ٠٠ وقالت**

ـ اسمع ٠٠ لماذا لم تنم ٠٠٠ ؟

ونظـــرت اليها ٠٠ الى اســـنانها البيضاء ٠٠ ولمحـــت الزغب الاصـــفر الشاحب فوق شفتها العليا ٠٠ وواصلت هى

ـ هل انت مريض ٠٠ ؟
ـ لا ٠٠ تحدثى فى كـــل شىء ٠٠ تحدثى ٠٠

ـ فى أى شىء ٠٠٠ ؟
ـ فى أى شىء يخطر لرأسك
ـ آه ٠٠ هـل انت لا رأى لك فى مشكلة كوريا ؟

ـ انت تدرسين اللغة الفرنسية ؟
ـ يا الهى ٠٠

وظلت تثرثر لحظة طويلة طويلة ٠٠ واخذت أهز رأسى لاسئلتها الكثيرة التى لم اع منها شيئا فقد سرحت بعيـــدا عنها ٠٠٠ وعند ما هبطنا فى محطـــة بور سعيد ٠٠ امسكت بذراعى وهى تبتسم فى ود وتلتصق بى ٠٠ قالت

ـ حسنا ٠٠ انك انسان على مستوى رفيع من التفكير ٠٠ انك انسان توافقنى على آرائى السياسية ٠٠ اغلب الناس يخالفوننى فيها ٠٠ انى معجبـــة بك يا سيدى ـ اين تسكن حتى ازورك قبل أن ارجع الى القاهرة ٠٠

ودفعت اليهـا بكارت فيه عنـــوانى واسمى ٠٠٠

فى المساء ـ مساء نفس اليوم قدمت الصغيرة ٠٠ وفتحت لها الباب وكـانت تبتســـم فوقفت لحظة ثم اندفعت الى الداخل ٠٠٠ وقالت

ـ اتسكن فى كل هـذه الشـــقة بمفردك ٠٠ ؟
ـ بمفردى
ـ لقد اتيت لك فى نفس اليوم
وحينما لم اجبها قالت :
ـ أيسوؤك هذا ؟
ـ لا

ـ لا اخفى عليك اعجـــابى بك ٠٠ اعجابى الشديد

ـ لا ادرى ما معنى الضمير الثقـافى الذى كان يقول عنه اندريه جيد ٠٠

ـ الاديب الفرنسى
ـ آه
ـ فى الحقيقة يعنى اشياء كثيرة ٠٠ ولو اننى لست متتبعة فلســفة هـذا الرجل ٠٠ ولكن بديهيا فانه يعنى ٠٠

واخذت احملق فى اسنانها البيضاء٠٠ ووجهها الذى يشبه وجه امى ٠٠ وكان هواء البحر يملأ الغرفة رطبا منعشا له رائحة خاصة ٠٠ وتنبهت الى كلماتهـا الاخيرة ٠٠

ـ وهذا الضمير الثقافى يخدم قضية السلام ٠٠ اليس كذلك ؟

وهـــززت رأسى فلم اكن متتبعـــا لثرثرتها ٠٠

قالت

ـ ان آراءك هى نفس ارائى ٠٠ وهذا حسن ٠٠ كأننى عثـــرت على لؤلؤة ثمينة ٠٠ الكل ٠٠ ليس الكل بالتحديد ٠٠ يخـافوننى ٠٠ ويناقشوننى بدرجة قاتلة ٠٠

ـ سأصنع شايا ٠
ـ دعنى اصنعه انا ٠

ـ حسنا ٠٠ هناك المطبخ ٠٠ اذهبى واصنعى لنا كوبين ٠٠ كل شىء عندك هناك

ورمقتنى بابتسام وهمست

ـ كم انا معجبة بك؟٠٠شىء غريب٠٠ غريب ٠

ـ ماهو هذا الشىء الغريب ؟
ـ مسألة اعجابى

● ودفعت اليها بكارت فيه عنوانى ●

ـ هيا اذهبى واصنعى الشاى

ودفنت نفسى فى مقعد من مقاعد البحر الطويلة **المستلقية** الى الخلف فى استرخاء ·· ووجهى يتلقى الهواء الرطب الذى يسترسل من النافذة الواسعة ذات النمط القديم ·· وتعالى ازيز الوابور ·· واحسست بها واقفة خلفى ولم تكن لى رغبة فى أن انظر اليها ·· مخلوقة غريبة ··

قالت بصوت جاد كذكر ··

ـ استمع الى ·· هل الاديان لها علاقة بمشكلة الحرب ؟

وودت لو اصفعها ·· هذه الثرثارة ستجعل رأسى ينفجر ·· لديها كمية هائلة من الافكار التى لا تفيد ·· هناك كثيرون يهوون السباحةفىشىء لانهائى·· كثيرون ·· ودققت النظر عبر النافذة لعلنى ارى شيئا **وسمعتها تقول**

ـ آه ·· انه سؤال هام ·· خطير·· كم يعجبنى فيك عدم التسرع فى الاجابة ····

انه لسؤال ليست الاجابة عليه بهذه السهولة التى تدع الانسان يجيب بسرعة كم كرهت هؤلاء الشبان زملائى بالكلية ·· انهم مغرورون ·· سمجون ·· لوألقيت اليهم بهذاالسؤال لاجابوا عليه قبل أن اكمله ·· وكل واحد يصر على أن رأيه هو الصحيح ·

وطفت فى ذاكرتى نصوص من اناشيد اسبوع الالام المقدس ·· اناشيد وجدتها فى كراس عثرت عليه مصادفة ·· ما ذكرنى بتلك السطور كان كلمة لم افهمها فعلقت فى ذهنى ·· واخذت الكلمة تهتز فى رأسى ثم نطقت بها وانا اضحك

ـ افلوغيتاريات القيامة ··· آه··· تقول ···

« مبارك انت يارب ، علمنى رسومك»

« رهط الملائكة ذهل متحيرا ، عند مشاهدتهم اياك »

« محسوبا بين الاموات،ايها المخلص· وناقضا قوة الموت »

« ومنهضا آدم معك ، ومعتقا الكل من الجحيم »

« مبارك انت يارب ، علمنى رسومك»

« الملاك اللامع عند القبر ، قد خاطب حاملات الطيب »

« قائلا : لماذا تمزجن الطيب بالدموع بترث »

« واشفاق يا تلميذات ، انظرن للحد وافرحن »

« لان المخلص قد قام من القبر »

ـ ما هذا ؟

ـ لا اذكر اكثر من ذلك ··· هذه السطور علقت بذهنى

وضحكت وقالت :

ـ لك مواهب فذة

ـ الشاى ·

ـ سأحضره

لا ادرى ماذا تريد هذه الفتاة الصغيرة ·· لا يهمنى شىء منها ·· فلتثرثر كما شاءت

وصاحت

ـ الشاى برد ·

وتناولت الكوب ·· واخذت تقول

ـ لقد ذكرت فى الافلو ·· ما اسمها؟

ـ ما هى ؟

ـ النشـــيد الذى كنت ترددە ٠٠ لا يهمنى اسمه ٠٠ لقد ذكرت فيه شيـــئا قريبا من هذا :

« انظرن للحد وافرحن »

لقد ذكرت ذلك

ـ هل هذا يخدم السلام ؟

ـ انت فتاة جامعية ٠٠ لا أدرى ماذا يهمك فى ٠٠

ـ فى ماذا ؟

ـ فى كل هذه الاشياء ؟

ـ هل تحفظ كثيرا من تلك النصوص؟

ـ لا ادرى

ـ هل هى نصوص مسيحية ؟

ـ آه

وخيم علينا الصـمت ٠٠ ومزقتـــه هى قائلة

ـ الغرفة رطبة ٠٠

وقامت واغلقت النافذة ٠٠ ونظـرت الى ساعتها ٠٠ ثم نظـرت الى : وقالت

ـ لقد تأخرت ٠٠ كم اود لو جلست اليك طويلا ٠٠ استمع لحديثك ونتناقش فى السياسة ٠٠ انت رجل مثقف ٠٠

وضحكت ضحكة باهتة قصـيرة ٠٠ وتوردت وجنتاها ٠٠ وزحفت الظـــلال الوردية على وجههـا فالتمعت الشعرات الصفراء الباهتة ٠٠ واشرقت اســنانها البيضاء ٠٠

وقالت فى اضطراب

ـ سأذهب انا الآن ٠٠ سآتى غدا٠٠ لنتحدث٠٠ انت رجل٠٠الآخرون أطفال لا استطيع مناقشتهم ٠٠ اسمع ٠٠ لا قصيرة كأنها لم تكن تتوقعها ٠٠كالمفاجأة السريعة غير المتوقعة ٠٠ فمـــدت يدها وسلمت ٠٠ وانصرفت وسمعت البـــاب يغلق خلفها ففتحـــــت النافذة وتدفق الهواء الرطب ٠٠٠

***

حينما انفرج البحر من ناحية الشرق عن الشمس تحيطها هالة وردية ٠٠كان هواء الفجر رطبا ٠٠ والشـاطىء المترامى فى اعياء عند اقدام الامواج المتحدرة ٠٠ لم يكن هناك احد ٠٠ خلعت مـــلابسى وارتديت « مايوه » وتسللت خارجا ٠٠ ورآنى طفل على السلم فحملق فى لحظـة ثم ضحك ٠٠ بعد لحظات قليلة ارتعشت ٠٠ وتقدمت الى البحر ٠٠ انى اعرف أن مياه البحر تكون دافئة فى الفجـر ادرى ٠٠ لماذا ٠٠ ؟ وصمتت فى حيرة٠٠ وعند الغروب ٠٠ ورأيت أناسا يتسللون الى الشاطىء وواحدا وقف ينظر نحوى وانا اسبح وحينما نظرت اليه مـــرة ثانية لم اجده٠٠وارتعشت مرة اخرى٠٠ ومددت لها يدى فنظرت اليها بدهشـة وتذكرت الاسماك المفترسة التى تمـــلأ البحر ٠٠ وحينما اندفعت الى الامـــام لاخرج عدت ثانية وغطست فقد كانت هناك امرأة عجوز تسير ببطء شـــديد على الشاطىء ، وقد تدثـــرت بمعطف اسود ونشرت فوق رأسـها شمسـية ملونة ٠ وحينما انصرفت ٠٠ حينمـــا رأيتها شبحا يتدحرج فى بطء بعيدا٠٠ خرجت وانا أشد ارتجافا ٠٠ وتوهجت الشمس ٠٠ ورجعت الى البيت وكـان الماء العذب الذى انصب فوق جسـدى من « الدش » كخيوط من الثلـج ٠٠٠٠ وحينما كنت ارتشف الشـاى تذكرت الفتاة الصغيرة ولمعـــت فى ذاكـــرتى *الشعيرات الصفراء الباهتة التى تنتشر* فوق شفتها العليا ٠٠ وضـــحكت ٠٠ ستأتى اليوم لتملأ رأسى ضجيجا اود لو

جلست صامتة خلفى ·· حتى لا اراها·· رأسها الصغير محشو باشياء غريبة ·· ماذا يهم هذه الفتاة من قضية السلام؟·· حيوانة ·· كأنها تريد أن توفر الطمأنينة والراحة فى المستقبل لاولادها الـــذين ما زالوا فى عالم الغيب ·· لعبة قديمة ذات جذور خالدة ·· وكان على ان اضع الكوب جانبا فقد انتهى الشاى منذ مدة ولم اشعر بدفء وبدأت أسنانى تصطك ·· ورأيت الرمال الصفراء ·· رمـــال الشاطىء ·· تتوهج كمرآة وقد اشتدت الشمس وارتفعت ·· وجذبت عينى نقطة صغيرة تلتمع كماسة بعيدا ·· قـــرب الشاطىء ·· تحتضنها الرمال الصفراء من كل جانب ·· ولففت جســـدى فى معطف···· واغلقت النافذة ··وتناولت طعام الافطار ·· ثم تمددت على الكرسى المائل ··· انى احبه·· حينما استيقظت مرة أخرى تبينت اننى لم انم اكثر من ســاعة واحدة ·· وعرق خفيف يبــلل وجهى ·· وعندما انحدرت الشمس نحو الغرب وابتلعها البحر تذكرت الفتاة ·· أن الشمس تطالع النصــف الثانى من العالم الآن ·· حينما يستيقظون هم ·· نكون نحن فى طريقنا الى النوم بعـــد ساعات قليلة ·· وســمعت طرقـــات خفيفة ·· وكانت هى ·· وسألت

ـ لماذا لم تدقى الجرس ؟

ـ لم آخذ بالى

وضحكت حتى التمعت اســـنانها البيضاء ·· وتمددت على كرسى امامى باسترخاء كأننا اصدقاء قدامى ··

قالت :

ـ لماذا ترتدى معطفا الآن ؟

ـ لانى استحممت فى الفجـر ، فى البحر ٠

قالت بدهشة :

ـ فى البحر ٠٠ الآن ٠٠ لسـنا فى الصيف ٠٠

ـ نعم

ـ غريب

ـ وارتعشت

ـ لماذا نزلت البحر الآن ٠٠ اليـوم بالذات ٠

ـ رأيته جميلا فى وهـج الفجـر الوردى ٠

وبعد لحظة صمت قصيرة قالت وهى تدقق نظراتها فى حجرها

ـ اليس مضحكا انك لم تعرف اسمى بعد ؟

ـ حقا

ـ سأفتح النافذة ٠

وحينما نهضت لتفتح النافذة رأيتها من الخلف ممتلئة ٠٠ وبدت لى اجمل من الامس ٠٠ وتدفق الهواء وكانت رائحته مشبعة بالملح ٠٠٠ ونظرت اليها باعجاب وقلت لنفسى « **ستذهب قـريبا ٠٠ لن تراها بعد ذلك كثيرا ٠٠ ليسـت كـل هذه الاشياء باعثة على السرور** »

ـ ها قد جئت اليك مرة ثانية ٠

ـ حسنا

ـ يبدو أنك متضايق

وبدأ لى حديثها فارغا ٠٠ فلم احب ان اجيب ودفعت ببصرى فى قلب الظلام الرابض خلفها عبر النافذة٠٠ واحسست بالهواء يزداد رطوبة فاحكمت لف المعطف فضحكت الصغيرة وقالت

ـ كأنك عجوز فى المائة من عمرك ٠٠

ـ هل وجهى يمتلىء بالتجاعيد ؟

ـ حقا ٠٠ ذكرتنى ٠٠

انها تثير فضولى ٠٠ سألت

ـ بماذا ٠٠ ؟ بالسلام ٠٠

فضحكت فى سـعادة وبقوة كرجـل وقالت

ـ لا ٠٠٠ قل لى ٠٠ هل عنـدك اربعون عاما ؟

ـ ثلاثون فقط ٠٠٠

وازداد ضـحكها ارتفاعـا ٠٠ وهمهمت

ـ انت مازلت صغيرا ٠٠ ولكنك تبدو عجوزا شرسا ٠٠ و ٠٠٠

كان الفستان الذى ترتديه فى زرقة البحر ٠٠ وكان محكما حول جسـدها وسمعتها تقول

ـ الا تسمعنى ؟

ـ انى اسمعك ٠٠

ـ فالحقيقة ان الفلسفة تفسد العقول اذا ما غزتها فى وقت مبكر ٠٠ لايجب أن تدرس او حتى تقرأ الفلسفة الا فى وقت متأخر من عمر الانسان ٠٠٠

الست معى ؟ واعتقد أن هذا ماانتهى اليه بول بورجيـه من رأى فى روايته شديدة التعقيد « المريد »

ـ بلا شك ٠

ليست هناك فائدة من معارضتها ٠٠

انى احبها حينما تضحك ·· وسألت بصوت ازعجنى :

ـ هل تحب ان تبدو رجلا غامضا ؟

ـ لا

ـ شىء غريب ·· انها مصادفة لذيذة ·· قلما يجد الانسان آخر يوافقه فى كل آرائه

ـ اهذا هو ما يجعلنى غامضا فى نظرك ؟

ـ يبدو لى ذلك ·· لا ·· لا

ولزمت الصمت لحظة ثم اندفعت تقول بصوت هامس

ـ الغريب ·· لا·· لا ·· ليس غريبا بل هى الحقيقة ·· اننا نكره من يقول دائما وفى كل لحظة · « انا هنا » نمقته ··

ورأيتها تحرك ساقيها فى عصبية ·· واحسست بها تفقد انتظام تفكيرها ·· واخذت تقول

ـ كيف تعيش بمفردك ؟ ان نظام الامتحانات سخيف ·· نحن فتيات الجيل نصنع فجرا لنساء الغد ·· العبودية الفكرية امر خرافى لا اصدقه ··

وصمتت حينما انغلق أحد مصراعى النافذة بقوة محدثا ضجة فجأة ··· ونظرت بشرود الى النافذة ··· ثم ضحكت وقالت :

ـ انى أكره أوجين وأفضل عليه بلزاك ·

وقطعت عليها كلامها

ـ سأصنع شايا

ـ لا داعى

ـ اريد انا

ـ اذن دعنى اصنعه انا

واحسست بالراحة وهى تختفى من الغرفة ·· وانفردت ·· واغمضت عينى ·· ووددت لو تنصرف او تلزم الصمت ·· وارتفع صوت الامواج ·· وانصفق مصراع النافذة ·· وسحبت الكرسى جانبا فى ركن ·· وكان المصباح يهتز فظللت اراقبه حتى استقر فزالت نشوتى··· وجذب انتباهى ازيز الموقد فى المطبخ ·· وامتلأ رأسى بالأزيز

وكان هناك فوق المنضدة كتاب ·

ودخلت مسرعة باضطراب وقالت :

ـ ما هذا ·· ان البيت قذر ·

ـ نعم

ـ الا يفزعك ذلك ؟

ـ وماذا يهمك يافتاتى الصغيرة ؟

فاحمر وجهها واضطربت نظراتها ·· واستنجدت بضحكة باهتة ·· ثم قالت :

ـ انك تحتاج

سألتها :

ـ الى أى شىء ؟

قالت متصنعة الاضطراب ·· هذا ما لاحظته ··

ـ تحتاج لمائة امرأة كى ينظمن لك هذه الشقة المضطربة ·· لقد فزعت من الفوضى التى تشملها ··

ـ أيتها الصغيرة الشقية لا تهتمى ·

وضحكت ·· وجلست على طرف **المقعد ··**

ـ الاحظ أنك تنادينى دائما بالصغيرة

واحمرت وجنتاها وواصلت قائلة :

انا لست صغيرة ·· اننى فى العشرين ··

وقاطعتها قائلا لسؤال أحببت أن القيه عليها ·

ـ ولماذا لم تتزوجى ؟

فبهتت من هذا السؤال ·· كأنه سؤال عار تماما ·· ورمقتنى باضطراب ثم قالت :

ـ يالك من رجل ·· اننى اطلب العلم الآن ·· لماذا يحمل الزواج معنى الموت عندكم دائما ·· لا يجب أن اتزوج الآن حتى انتهى من تعليمى ··

ـ حسنا افكار جيدة ··

وضحكت وهى ترمقنى بخبث ·· وانطلقت وهى تقول :

ـ الشاى يفور ·· الموقد سينطفىء ··

سمعت ضجة خارج الشقة ·· بعض الاصوات اعرف أصحابها ·· وأخذ الضجيج يرتفع ··وعلا صوت فتاة رأيتها مرات كثيرة فتذكرت ذيل الحصان الذى تصنعه من شعرها الحالك السواد وكان ذيلا طويلا يؤرجحه الهواء ·· ويهتز من نفسه حينما تجرى على الشاطىء ·· وضحكت ووددت أن أفتح الباب واراقب ذيل الحصان وهو يهتز ··لا بد أنه يهتز الآن فى عصبية وغضب ·· اما عيناها فواسعتان ·· انها لا تتكلم بالطريقة التى تتبعها صاحبتى الصغيرة بل تحب أن تسمع وتقول هى : « نعم » دائما لاى انسان ولاى رأى ·· فى السادسة عشرة من عمرها·· ولكن السىء فيها هو··فمها ·· فمها فقط ·· انه واسع · فحينما تضحك تذكرنى شفتاها بالشاطىء الذى يمتد طولا الى مالا نهاية ·· باتساع ·

وضحكت فى عصبية

ـ لماذا تضحك ؟

ورأيتها واقفة أمامى ·· ولاحظت أن لحمها ابيض ··

قلت

ـ لا شىء

ـ تفضل الشاى

ـ شكرا

وتناولت كوبا ·· واخذت هى تحتسى الشاى وقد قربت كرسيها منى ·· واطلت التحديق فى وجهها فتشاغلت بالنظر فى الكوب ·· وابتسمت ·· لعبة قديمة ·· كأنها تقول لى ·· «تأمل مفاتنى » ·· لست انسانا مفرغا تماما·· اننى احب احيانا أن اضرب فجأة وبشدة ··· ولكن بادراك واع أن تلك الطريقة لافائدة منها ··

وسألتها

ـ اذا أتاك عريس الآن فهل ترفضينه ؟

فابتسمت فى خجل ·· وقد اخذها اضطراب مفاجىء·· فأحسست بالنشوة لذلك ·· وكأنها احست بان صمتها اذا طال أكثر من ذلك فسيكون شيئا مخجلا للغاية ·· وتورد وجهها

وقالت وهى تتمالك نفسها

ـ هدفى الاول هو اكمال تعليمى·· فاذا وافق فسأقبله

ـ واذا لم يوافق ·· ؟

وهنا احسست أن السؤال كان ضربة قاصمة لافكارها وآرائها وانوثتها ···

وحاولت التملص فى مكر قائلة

ـ ولماذا لا يوافق ؟

ـ فرضا انه لم يوافق

ـ سأقنعه

ولزمت الصمت حتى يخمد اوار المعركة فى نفسها ·· كانت جولة سريعة مرهقة لاعصابها بلا شك ادركت انها وعاء مملوء بافكار الغير ·· ليست لها افكارها المكيفة الخاصة **وضحكت لذلك الاكتشاف وان لم يكن ذا فائدة لى مطلقا** ··

ـ انت ماكر

ورمقتها من طرف عينى

ـ لماذا ٠٠ ؟

ـ انت تفكر بطريقة ملتوية ٠

ـ كيف ٠٠٠ ؟

ـ لا ادرى على وجه التحديد ٠٠ولكنك تعتمد على مفاجأة خصمك ٠٠ وتحاول أن تجعله يحاربك بغير اسلحته ٠٠

ـ لا افهم ٠٠ لا افهم ٠٠ شاى امس كان افضل

ـ وهل انت تفضل المرأة المثقفة او غير المثقفة ؟

وغرزت نظراتى فى وجهها ٠٠ قطة ماكرة ٠٠ سيئة ٠٠ ووددت لو اصفعها ٠٠ خلع التمثال جميع اقنعته التى يختفى خلفها ٠٠

وقلت

ـ الطبيب الذى يعرف كثيرا فى الرياضيات ليس مثقفا ؟٠٠ ولكن بالعكس اذا عرف كثيرا فى امور الطب ٠٠ فهذا هو الانسان المثقف ٠

ـ ما معنى ذلك ٠

ـ اعنى ان الثقافة هى الملاءمة الخاصة

وفكرت طويلا وحاولت أن تبدو انها فاهمة ٠٠ ولكنها قالت فجأة

ـ لم أفهم ؟

ـ هل تعتبرين اطالة عمر الانسان يؤثر فى القيم الحضارية ؟

وصاحت :

ـ انت تحاول أن تبدو غامضا مرة أخرى ؟

وضحكت ٠٠ ورأيت نورا يلتمع ببهوت فى عرض البحر ٠٠

قلت لها

ـ انت شقية

واقتربت بمقعدها ٠٠ وقالت

ـ ولكن ما رأيك فى العريس الذى يطلب أن تتخلى عروسه عن دراستها ؟

ـ رأيى ٠٠ ؟

ـ نعم

ـ كل امرأة تدرى الرأى الصحيح فى ذلك الوقت

ـ هذه عبودية

ـ أبدا ٠

وكشرت قائلة

ـ كيف ٠٠ اليست هذه عبودية ؟

كان يجب أن أقول لها « بلا شك » فقلتها ٠٠ فعادت ابتسامتها ٠٠وقالت

ـ بدأت تتمرد ٠

ـ هذا كلام حاد

ـ انى معجبة بك

ـ اشكرك

ـ الفتاة الغير مثقفة لا تستطيع أن تقول لرجل هذا الكلام ·· منحتنا الثقافة الحرية ·· الحرية بجميع معانيها التى تساعدنا على صنع فجر جديد من أجل نهضة نسائية

ورمقتها بحدة فجأة فاهتزت فى جلستها ·· وقلت

ـ انت لا تنفعين زوجة مطلقا ··

وكانت كالضربة المباغتة ·· وادركت أن هناك فى الحقيقة صراعا ·· لهبا تحت طبقة الجليد ونهضت واقفة ونظرت الى برهة ·· ثم نظرت الى ساعتها ·· وقالت :

ـ سأسافر غدا ··

ـ مع السلامة

ـ هكذا ··

ـ ·····

ـ لا ادرى

وصمتت واطالت فى وجهى ·· ثم قالت :

ـ استمع ·· اريد أن أقول لك ·· انى ···

ـ حسنا ··· مع السلامة ·· ربما سآتى ··

ووضعت يدها فوق كتفى ·· وقالت بعد لحظة :

ـ لماذا الزمت الصمت ؟

ـ انى أراقب النور الذى يلتمع هناك فى عرض البحر ··

ومالت برأسها ·· وحطت شفتيها ·· واستطعت أن أدير وجهى الى الناحية

ـ ألقى بكل شىء فى البحر ·

للمرة المليون تحاول أن تبدو غامضا

وصمتت لحظة ثم قالت بعصبية :

ـ لماذا رفضت أن أقبلك ؟

ـ لامعنى لها ·· بأى موجب ؟

ـ انى أحبك ··

أنا لا أحبك ··

وكشرت وقالت من بين اسنانها :

ـ شكرا ··

وأدارت لى ظهرها مغادرة الغرفة ·· ولحقت بها بسرعة ·· وأمسكت بكتفيها من الخلف وهويت على شفتيها بقبلة طويلة ·· فقالت بدلال ··

ـ انك لاتحبنى ·· فلماذا تقبلني ؟

ـ مجرد اختلاف فى المبادىء ليس الا

وارتفعت كلمات من الماضى السحيق ·· كلمات ابى ·· كترنيمة تتردد منذ الأزل فى معبد من المعابد القديمة ·· « انسان بلا عقيدة » ستقتل نفسك حتما » وحينما عدت · نظرت الى البحر بامعان وتدقيق ·· لم أكن أراه لأنه كان غارقا فى الظلام بل كنت أسمع هدير أمواجه ·· كانت هناك عاصفة ·· والبحر مضطرب ··· فى هياج ··· البحر تماما بلا عقيدة ··· أكيد ···

ضياء الشرقاوى